العمـارة الدفاعيـة فـي برقـة في العصر الإسلامي

من الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلي مصر

د/ ونيس عمر بولطيعة

- **أولاً: توطئة تاريخية عن قصور وقلاع وأسوار برقـــة:**
  1. **التحصينات القديمة الرومانية والبيزنطية**
  2. **تحصـينات الفـترة الإسـلامية عـن قـدامى المؤرخين والجغرافيين المسلمين.**
- **ثانياً: أهــم العمــائر الدفاعية في برقـــة:**
  1. **قصـــور حســـان.**
  2. **قصر (قلعة) أجدابية الفاطمـي.**
  3. **قصر (قلعة) المعزية أو العزيـات.**
  4. **حصـــن توكـــرة الإسـلامـــي.**
- **ثالثاً: أثر العمارة الدفاعية على الأبنيـة المتأخـرة.**

أولاً: توطئة تاريخية عن قصور وقلاع وأسوار برقة:

1 - التحصينات القديمة الرومانية والبيزنطية:

حرصت الإدارتان الرومانية والبيزنطية، السابقة على الفترة الإسلامية في منطقة قورينائية (برقة) على تأمين وحماية مدن الإقليم حمايةً دائمة من خطر القبائل الليبية، وتمثل ذلك في وجود العديد من الحصون والقلاع وأبراج المراقبة التي كانت تشكل مقراً دائماً للحاميات العسكرية، إما على المناطق الحدودية أو على مشارف أهم مدن الإقليم.

فالمنطقة الحدودية الغربية للإقليم المتمثلة في مدينة سرت، تم تحصينها تحصيناً دفاعياً قوياً مؤسساً على طراز التحصينات الصحراوية، بوضع حصن صغير في أقصى غرب الإقليم، لا تتجاوز مساحته 35×32 متراً مربعاً، ويقع على تل صغير عند بئر أم القريات قرب الموقع الأسطوري لمذبح الأخوين فيلاني[1]. وهي المنطقة التي أُتخذت حداً فاصلاً بين المدن الفينيقية في طرابلس والمدن الإغريقية في برقة، وفي الغالب أن هذا الحصن يرجع إلى ما قبل عصر الروماني الإمبراطور جستنيان في القرن الأول الميلادي، عندما امتدت التحصينات الدفاعية حول مدينة البوريمس (بوقرادة). أما مدينة أجدابية فيوجد جنوبها برج للمراقبة يدل على براعة في التصميم والعمارة، إضافة إلى العديد من التحصينات الصغيرة الحجم المنتشرة بين مدينتي أجدابية وبنغازي، يُرجح أنها وجدت لحماية المزارع ولم تكن تحصينات دفاعية حكومية، كما يوجد حول مدينة قمينس العديد من القلاع الدفاعية المبنية بأحجار خشنة من المرجح أن تكون قبائل البربر الصديقة، قد قامت بتشييدها تحت إشراف الرومان والبيزنطيين[2].

بالقرب من مدينة أجدابية أيضاً يوجد واحد من أهم التحصينات عند زاوية مسوس ويرجح أن هذا الحصن كان مركز مراقبة للمنطقة الصحراوية من برقة وهو برج صغير

([1]) Goodchild, R.G.: Roman Milestone in Cyrenaica, Papers of the British School at Rome, (1950), P. 97-98.

([2]) Goodchild, R.G.: Forts in south - west Cyrenaica, Antiquity, XXV (1951), P. 141-144.

مساحته 45 متراً مربع، تم بناؤه بالأحجار الجيرية الصلبة، وواجهه بوابته مستقيمة، وليس على شكل قوس، واستعملت قطع الأحجار الصغيرة لتقسيم المبنى من الداخل.

في هذا الخط الدفاعي أيضاً يوجد حصن يعرف اليوم بـ (قصر بوهدومة)، ويقع قرب منطقة المقرون وهو أقرب إلى الطراز الحكومي، وقد شيدت واجهته بعناية بأحجار كبيرة الحجم(1). وأكبر الحصون الدفاعية من الناحية الغربية (خليج سرت) يقع في زاوية الطاليمون، وهو يقع في منطقة اتصال الطرق الرومانية، ولا تزال ثلاثة جوانب من هذا الحصن واضحة للعيان، وكذلك أبراج زاويتين من زوايا المبنى، وتبلغ مساحته 38×44م مربع، ويعتقد أنه كان مُقسماً من الداخل إلى ممرين يتقابلان في الزاوية اليمنى من المبنى، وغالباً فإن المدخل الرئيسي للحصن كان من الشرق أو الجنوب، ولا يقل حصن الشليظيمة حجماً عن سابقه فهو معقل دفاعي كبير يبلغ طوله 38م(2).

أما منطقة سهل برقة الخصيب، فقد خُصت مداخله الشرقية والجنوبية في العصر الروماني بعدد من الحصون والتحصينات الخاصة بالحقول الزراعية، وبعض هذه التحصينات تمتد من مدينة الأبيار إلى مدينة المرج، على أطراف السهل الساحلي الممتد بين المدينتين، أما التحصينات التي توجد جنوب المرج فهي تحمي الطريق القديمة وأهمها التحصينات الدفاعية في منطقة قصر جاب الله(3).

تكمن أهمية تلك التحصينات في كبر حجمها، وسيطرتها على نقاط اتصال إستراتيجية لربط الأودية بعضها ببعض، مما يجعل الحصن المقام فوق هذا التل يتحكم في المنطقة المحيطة به، والحصن المعروف بحصن جاب الله على شكل مربع طول ضلعه 39م، وله أبراج مختلفة الأحجام موزعة على زوايا قائمة، ويرجح أن مدخل الحصن من الشرق، ويبدو أن الجدار الفاصل بين الأبراج قد أعيد بناؤه في فترة متأخرة.

(1) Goodchild, R.G.: Forts in south - west Cyrenaica, P. 67.
(2) Hamilton, James: Wanderings in north Africa, London, 1856, P.169.
(3) Hamilton: Op. cit., P.24.

تتمثل التحصينات الأكثر أهمية في المنطقة التي تعرف بوادي الكوف، حيث تميزت بالضخامة وتفوقها على الحصون الأخرى في المنطقة للقيام بوظيفتها التي بنيت من أجلها لحماية المداخل الجنوبية والغربية المؤدية إلى سهل قوريني وهي تمتد في منطقة وعرة تتخللها الوديان العميقة والجبال المرتفعة والشديدة الانحدار وتحيط بها الغابات الكثيفة، وتكمن أهمية هذا الجزء باعتباره يمثل جزاءً مفصلياً في تقسيم إقليم برقة إلى قسمين، فتمكن العدو من السيطرة عليه – وادي الكوف – يعني منع الاتصال بين شطري الإقليم الغربي والشرقي.

يتواجد العديد من القلاع الدفاعية تحف بمنطقة حوض وادي الكوف، أهمها القلعة الدفاعية المعروفة بقصر المقدم (قلعة بني أقديم)(1)، وهي نموذج واضح للعمارة البيزنطية الدفاعية، تبعد عن حوض وادي الكوف بمسافة 3كم. وهي تأخذ شكلاً مستطيلاً، طول الضلع الشمالي الشرقي 44م، والجنوبي الغربي 23م، يوجد مدخل القلعة في الناحية الشمالية الشرقية وهو على شكل عقد نصف دائري، وتتكون القلعة من طابقين، ولها برجان بارزان يبرز البرج الواقع في منتصف الجدار الشمالي الشرقي بمسافة 5.50م عن الأسوار، ويبلغ عرض الأسوار 1.40م، ويبلغ ارتفاعها 13م، تقريباً إذا ما تم تعميم الجزء المتكامل من المبنى المتمثل في الجزء الشمالي الشرقي. ولعل المواصفات التي اتصفت بها القلعة من ضخامة ومناعة في التحصين، قد عبرت عن مدى أهمية وإستراتيجية المكان الذي تواجدت فيه القلعة.

وعلى بعد 8 كم جنوب شرق القلعة السابقة توجد قلعة دفاعية أقل أهمية، عرفت بقصر الشاهدين، وتقع على أعلى قمة تل في المنطقة، مشرفة على وادي أقل عمقاً من وادي الكوف، والقصر معقد البناء ويبدو أنه مبني على مراحل، وفي الغالب يرجع إلى العصر الروماني المبكر والمراحل الأخيرة من المبنى ترجع إلى أعمال الإمبراطور

(1) Smith, M. and Porcher, E.A: History of the recent discoveries at Cyrene, London, 1864, P.22.

جستنيان[1]. وعلى الطرف الجنوبي لمنطقة وادي الكوف وعلى مسافة قريبة من قرية أسلنطة هناك برج للمراقبة مساحته 15× 13م، تتوزع على جدرانه فتحات على شكل حلقات صغيرة للمراقبة[2].

تتوزع التحصينات شرق سهل قوريني بمنطقة المخيلي وعين مارة (إيراسا) وهناك تشابه بين الحصن الموجود بها وحصن الحنية في أجدابية حيث يوجد خزان مياه كبير مقطوع في الصخر، تحت أرضية الحصنين. وحصن إيراسا أو عين مارة، مربع الشكل طول ضلعه 34م وواجهاته مقطوعة في الصخر.

أما التحصينات المرتبطة بتأمين المدن الرئيسية في إقليم برقة، فيلاحظ أن المدن محاطة بأسوار من حولها، ظلت قائمة إلى القرن السابع الميلادي، وبوابات رئيسية وفرعية وتتضح تلك التحصينات في كل من قوريني(شحات)، وبطولمايس (طلميثة)، و توكرة . فالسور المحيط بمدينة طليمثة في العصر الروماني المبكر كان مجرداً من وسائل الدفاع، وتركت مهمة الدفاع عن المدينة للبوابة الغربية كحاجز دفاعي منفرد.

تتضح تحصينات مدينة توكرة في أسوارها التي تحيط بالمدينة من ثلاث جهات (الشرقية، والغربية، والجنوبية) ويتفاوت سمكها ما بين 140- 215سم، بمتوسط عام 180سم، ويصل أقصى ارتفاع لها إلى 280سم، ومدعمة بأبراج مستطيلة الشكل عددها يقارب 30برجاً تبرز عن السور بمقدار 7م، ومتوسط المسافة بين جميع الأبراج 44م، ومتوسط أبعاد تلك الأبراج 7 × 8.5م. والكثير من هذه الأبراج أضيفت ضمن إصلاحات جستنيان. ويتخلل السور ثلاث بوابات، البوابة الشرقية، والبوابة الغربية، والبوابة الجنوبية، وقد أقفلت البوابة الأخيرة ليتم تحويلها إلى برج في العصر البيزنطي، أما البوابة الشرقية فيبدو أنها كانت البوابة الرئيسية بالمدينة لارتباطها بالطريق الرابط بين توكرة وطليمثة والممتد لمسافة 40كم، ويحيط حالياً بالبوابة برجان خماسي الأضلاع، وتعرضت للتعديلات وخاصة

([1]) Goodchild, R.G.: Forts in south - west Cyrenaica, P. 72.
([2]) Fraser, P.M.: Hadrian and Cyrene, Journal of Rome Studies, (1950), P.90.

عندما اتخذ منها البيزنطيون مقراً للتجمع للدفاع عن مدينة توكرة ضد الفاتحين المسلمين. أما البوابة الغربية لا تختلف كثيراً عن البوابة الشرقية، إلا أنها لم تجر عليها تعديلات كالتي أجريت على البوابة الأخيرة، لتسمح بمرور العربات باتجاه مدينة بنغازي، أي أنها أُتخذت منفذاً للهرب في حالة سقوط المدينة. ويُرجح تدمير الكثير من أجزاء السور بعد الاستيلاء على المدينة عام 642م، وكذلك بسبب استغلال المنطقة المحيطة بالأسوار في الزراعة[1].

2- تحصينات الفترة الإسلامية عن قدامى المؤرخين والجغرافيين المسلمين:

كان للنظم الثغرية في صدر الإسلام أهمية إستراتيجية عسكرية كبرى للدفاع الساحلي، وتطلبت مسيرة الفتح الإسلامي في بلاد الشام ومصر والمغرب تأمين الخط الساحلي الممتد على طول البحر المتوسط من خلال ترميم وتدعيم الحصون الرومانية أو البيزنطية من جهة واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى لتكون بمثابة قواعد دفاعية ساحلية لمواجهة الغارات البيزنطية، التي كانت تهدد مسيرة الفتوحات الإسلامية واستقرارها آنذاك.

يرى الدكتور محمد عبدالهادي شعيرة أن ما انطبق على الساحل الشامي من تحصينات بإقامة العديد من الأربطة والمراقب منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، بحيث يمكن الاتصال بين نقط الربط والمراقبة بالعين المجردة عن طريق النيران، لم يكن قاصراً على الساحل الشامي، وإنما شمل هذا النظام كافة السواحل الإسلامية[2].

فرضت طبيعة السواحل البرقاوية الوعرة، والتي تليها مباشرة الجبال والشعاب والتي لا يقدر أحد على سلوكها، ولخشونة طرقاتها وتعذر منافذها، إقامة القصور (الحصون)[3]

([1]) علي سالم لترك: مدينة توكرة (توخيرا القديمة)، الدار العربية للكتاب،القاهرة، ط2، 1978م، ص39، 41، 45، 47، 48.

([2]) محمد عبدالهادي شعيرة: الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية، ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، كلية الآداب، الجامعة الليبية، 1968م، ص135-136.

([3]) أحصى الإدريسي جميع حصون طرابلس وإفريقية، بينما اكتفى بوصف حصون برقة بأنها كثيرة وتفوق الحصر. وأشار إشارة مهمة بأن معظم هذه الحصون تسمى وتوصف على أنها قصور، يعتبر أن أغلب المنشآت الساحلية المحصنة قصوراً، أما المنشآت المحصنة الداخلية فإنه يسميها بالحصون.
- نزهة المشتاق، مج1، ص310-315.

العديدة والمتقاربة، التي تنتشر على ساحل البحر وعلى مراحل[1].

وإذا قدرنا أن المسافر كان يقطع طريقه على مراحل، فلابد أنه كان يمر بين كل مرحلة وأخرى بقصور قائمة على شاطئ البحر، تؤنس الطريق من جهة وتحرس المنافذ البحرية من جهة أخرى.

يصف "المراكشي" الطريق من القيروان إلى الإسكندرية بكثرة الحصون قائلاً: "وكان فيما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب حصون متقاربة جداً، فإذا ظهر في البحر عدو نور كل حصن للحصن الذي يليه، واتصل التنوير، فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية، أو من الإسكندرية إلى طرابلس، في ثلاث ساعات أو أربع من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم..."[2].

ويؤكد "ابن خلدون" إقامة العديد من المحارس والحصون على ساحل البحر من المغرب وعلى امتداد خمسة عشر يوماً إلى برقة، والتي كانت معروفة زمن مرور الأمير الأغلبي محمد الملقب بأبي الغرانيق[3].

وقد ورد ذكر العديد من القصور والعمائر الحربية من قلاع وحصون وأسوار، وقد اتخذت القصور هي الأخرى شكلاً دفاعياً حربياً، مثلما عليه القلاع، فيذكر "البكري" أن بمدينة إجدابية ثلاثة قصور واضحة، وبينها ثمانية عشر ميلاً[4]، ويختصرها الحميري في قصرين فقط في الصحراء[5]. وسيتم التناول الميداني لأحد هذه القصور بمدينة إجدابية، وهو القصر (القلعة) الفاطمي، والذي تم بناؤه سنة 355هـ/965م بأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله. في جملة ما قام به من أعمال من حفر للآبار وبناء القصور في طريقه نحو

---

(1) نفس المصدر، ص310.

(2) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، 1994م، ص282.

(3) ابن خلدون: العبر، ج4، ص257.

(4) المسالك والممالك، ج2، ص651.

(5) الروض المعطار، ص11.

مصر[1]. ولكن الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله قد سبق المعز بتشييده لذلك المسجد الذي وصف بنظافته وحسن بنائه بأجدابية[2]. والذي يذكره اليعقوبي في رحلته بما يُرجح أن المسجد كان موجوداً في عهد سابق للفاطميين[3]. وهنا نجد أنفسنا أمام احتمال قيام الخليفة القائم بأمر الله بترميم أو إعادة بناء مسجدي إجدابية وسرت. وقد جاء هذا التنويه للمسجد باعتباره هو العنصر المهم في أية مدينة إسلامية، وهو البناء الرئيسي الذي تقوم حوله مباني المدينة لتحديد تاريخ المدينة.

هذا وقد أدت مدينتي أجدابية وسرت الدور الذي سعى الفاطميون من أجله عندما عملوا على تطويرهما، وفي إمكاننا تصور جيش جوهر وهو يخيم في أطراف سرت أو أجدابية للتزود بالمؤن والماء، وطلباً للراحة ليستأنف سيره بعد ذلك نحو مصر.

وتعتبر قصور حسّان والتي تقع بالقرب من مدينة سرت وعلى مرحله من مغمداس[4]، من أشهر هذه القصور على الإطلاق، وعرفت بهذا الإسم بعد أن سيّر عبدالملك بن مروان حسان بن النعمان الغساني إلى إفريقية لمحاربة البربر فواقعهم فهزموه، فرجع عنهم وأقام بإفريقية خمس سنين وبني في مقامه هناك قصوراً نسبت إليه[5].

وهناك قصر الأصنام، وهو قصر كبير وعامر يبعد عن سرت ثلاثة عشر ميلاً، وقصر العبادي الذي يقع بدوره على شاطئ البحر، وقصر العطش[6].

وقف "اليعقوبي" عند تلك القصور وغيرها كقصر الفاروج، وقصر العطش، وقصري اليهودية والعبادي، وجميعها بالقرب من سرت[7]. وقصر العسل، وقصر قافز الذي يقع وسط

([1]) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص96.
([2]) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص651.
([3]) البلدان، ص181.
([4]) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص653.
([5]) الحموي: معجم البلدان، مج4، ص366؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص654.
([6]) الحموي: معجم البلدان، ص314.
([7]) البلدان، ص182.

وسط مدينة برنيق (بنغازي الحالية)، وبالقرب منه قصر توكرة العامر والذي يسكنه قوم من البربر، وكذلك قصر قمانس (قمينس) القريب من بنغازي وسلوق[1].

كما يذكر "ياقوت الحموي" بأنه كان لبرقة ساحل يقال له أجية وله عدة محارس وعلى مسافة ستة أميال من مدينة برقة، وحتى ساحل طلمّوية (طلميثة)[2]. وبرقة المدينة كانت محصنة تحصيناً جيداً بسور وأبواب حديد وخندق، يقال أن المتوكل على الله العباسي (232-247هـ/847-861م) هو من أمر ببناء هذا السور[3]، ولكن اندثار هذا السور بشكل بشكل مبكر، يبدو أنه هو الذي حال دون ذكره عند العديد من الرحالة والجغرافيين المسلمين.

ومن أشهر حصون برقة حصن طلميثة، والذي كان محصناً تحصيناً جيداً بسور من الحجارة، والذي سُخر في وقت متأخر لاستقبال السفن وتصدير البضائع لمناعة أسواره[4]. وحصن وادي مخيل والذي اشتمل على جامع وسوق عامر وبرك للماء وجباب[5]. وهناك حصن وصف بالمنيع بمدينة زاله[6]، وحصن بمدينة ودان وصف بالقلعة الحصينة[7]. وعلى الطريق من مدينة أوجله إلى الواحات توجد العديد من الحصون منها بهنسى المسورة وبها مساجد وأسواق[8]. وهذا يؤكد انتشار بناء الحصون والقلاع والأسوار الدفاعية في مناطق الواحات الصحراوية ولم يقتصر بناؤها على المناطق الساحلية.

ويصف "ابن سعيد" أسوار مدينة طبرق بأنها قديمة[9]، وكان لمدينة الرمادة الواقعة

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص315.

(2) معجم البلدان، مج1، ص389؛ اليعقوبي: البلدان، ص181.

(3) اليعقوبي: البلدان، ص181.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص315-316؛ المراكشي: المعجب، ص283.

(5) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص649.

(6) أبي الفداء: تقويم البلدان، ص128.

(7) الحموي: معجم البلدان، مج5، ص366.

(8) البكري: المغرب، ص14.

(9) الجغرافيا، ص147، بسط الأرض، ص81.

على الساحل سور يحيط بها[1]. وكذلك سرت لها سور منيع صالح من طين، وطابية[2][3].
وطابية[2][3]. وسور أجدابية كان من الحجر المستو ولم يبق منه إلا الأطلال[4].

([1]) البكري: المغرب، ص4.

([2]) طابية: وهي نصب الأسوار على شكل ألواح سطراً فوق سطر ينتظم الحائط كله ملتحماً كأنه قطعة واحدة ويُسمى الطابية وصانعه (الطوّاب)؛ ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص104.

([3]) ابن حوقل: صورة الأرض، ص70.

([4]) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص311.

ثانياً: أهــم العمــائر الدفاعية في برقة:

أ- قصور حسان:

تقع قصور حسان إلى الغرب من مدينة سرت الحالية بحوالي 62كم، وتبعد عن البحر بمسافة لا تقل عن 180م تقريباً، وسميت بقصور حسان نسبة إلى القائد حسان بن النعمان الغسّاني، الذي عندما تعرض للهزيمة من قبل الكاهنة، لجأ إلى أنطابلس، فنزل قصوراً من حيز برقة فسميت قصور حسان(1)، ويؤكد "البلاذري" ذلك بأن حسان بن النعمان عندما هُزم أمام ملكة البربر، الكاهنة، أتى قصوراً في حيز برقة فنزلها، وهي قصور يضمها قصر سقوفه أزاج فسميت قصور حسان(2).

يورد "ابن عذاري" كتاب حسان إلى أمير المؤمنين، ورد الخليفة عليه بعد هزيمته أمام الكاهنة بما نصه: "... وأن أمم المغرب ليس لها غاية، ولا يقف أحد منها على نهاية، كلما بادت أمة خلفتها أمم.. فعاد له جواب أمير المؤمنين يأمره أن يُقيم حيثما وافاه الجواب، فورد عليه في عمل برقة. فأقام بها وبنى هنالك قصوراً تسمى إلى الآن بقصور حسان"(3).

وفي ذلك إشارتان هامتان، موقع القصور في حيز برقة، وقيام حسان ببناء القصور المنسوبة إليه، وهذا ما يخالف رأي ابن عبدالحكم والبلاذري وابن الأثير(4)، بأن تلك القصور، كانت موجودة أصلاً وحسان لجأ إليها ليتخذها مقراً لجيش المسلمين.

بالإمكان التوفيق بين الروايات، بأن حسان أقام في بعض الحصون القديمة والتي جئنا على ذكرها، وقام ببناء بعض الحصون في ذلك المكان من إقليم برقة، أو أنه قام بإعادة استعمال القائم منها بعد ما أدخل عليها بعض التجديدات، مستغلاً في ذلك موقعها الدفاعي المتميز. وجودة تحصيناتها. ويرجح أن حسان أقام بها في الفترة ما بين (73-

---

(1) ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص200.

(2) فتوح البلدان، ص214.

(3) البيان، ج1، ص36.

(4) فتوح مصر، ص200، فتوح البلدان، ص214، الكامل، مج4، ص136.

78هـ/692- 697م)، لمدة خمس سنوات حددها كل من ابن الأثير وياقوت الحموي، وابن أبي دينار [1].

أشار "البكري" المتوفى بقرطبة سنة 1094م، إلى قصور حسان بأنهما قصران بناهما حسان بالقرب من سرت وهما اليوم خربان[2]، بينما لا يحدد "الإدريسي" المتوفى سنة 1168م عددها ويصفها بأنها مجموعة من القصور تقع في حيز برقة ونسبت لحسان بحكم نزوله فيها أما حالتها عند مروره بها، كانت سيئة وفي وضع الخراب، ولم يبق منها إلا أثر غابر [3].

الوصف المعماري للمبنى: (الشكل 1)، (اللوحات 5،6):

قامت مصلحة الآثار الليبية بإجراء حفائر على أحد هذه القصور سنة 1993م، حيث كان موقع المبنى في بداية الأمر على شكل تلة مرتفعة تغطيها أكوام من قطع الحجارة الصغيرة والرمال، وتظهر بعض الجدران بها واختفاء بقية أجزاء المبنى نتيجة لزحف الرمال. مما تطلب الحفر لأعماق تتراوح ما بين 50-350سم. فأدى إلى ظهور المبنى، الذي اتخذ شكلاً مستطيلاً، بلغ طوله من الشمال إلى الجنوب 21 متراً وعرضه من الشرق إلى الغرب14متراً، وبلغت مساحته 294 متراً مربعاً، يتوسطه فناء مكشوف مساحته 52.50متراً مربعاً. وللمبنى مدخل رئيسي واحد يقع بمنتصف الجدار الشرقي على شكل عقد نصف دائري، ويوجد تحصين أمام هذا المدخل على شكل نصف دائري له مدخل من الناحية الجنوبية عرضه 130سم.

يضم المبنى عشر حجرات مربعة الشكل ومختلفة الأحجام، ويحيط به سور، ويتراوح سمكه ما بين 85-100سم، وبالركن الشمالي الشرقي حجرة مربعة بزوايا دائرية، ربما كانت برجاً

---

(1) الكامل، مج4، ص136، معجم البلدان، مج 4، ص366؛ المؤنس، ص47.

(2) المسالك والممالك، مج2، ص654.

(3) نزهة المشتاق، مج1، ص314.

للمراقبة. أما مادة البناء فقد اعتمد البناء على الحجارة الصلبة والتي يكثر تواجدها بالمنطقة، مع استعمال المونة لربطها وكذلك استخدام الخشب للتسقيف.

خلص تقرير الحفائر بأن المبنى قد تم تشييده على بقايا مبنى يرجع إلى حوالي القرن الخامس الميلادي، والذي تبدو سماته واضحة في وجود التحصينات أمام المدخل وتعدد المداخل واستعمال الدعامات الخارجية الضخمة، وتشير تلك الميزات الدفاعية والتحصينية إلى قربها من الحصون الرومانية[1]. مما يدعونا للقول أن حسان بن النعمان قد وجد تلك التحصينات الرومانية في تلك المنطقة قائمة أصلاً، فاستغل الموجود والصالح منها وابتنى بعضها الآخر أثناء إقامته فيها لمدة خمس سنوات.

ب- قصر (قلعة) أجدابية الفاطمـــي:

يقع القصر الفاطمي بمركز مدينة إجدابية الحالية، وهو ضمن أهم الآثار التي تأتي لتخبرنا بوضوح، وبما لا يحتمل الشك عن التاريخ الفاطمي للمدينة، فبالرغم من أهمية مدينة إجدابية فيما سبق، إلا أنها قد بلغت ما بلغته من الشهرة أيام الفاطميين، منذ أن عزم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله اتخاذها كمعسكر يعكسر به الجيش الفاطمي الزاحف إلى مصر، فُاختصت مدينة إجدابية بحفر الآبار، والصهاريج وإقامة قصر من قصور الخلافة بها، "وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة أمر [المعز] بحفر الآبار في طريق مصر، وأن يبنى له في كل منزل قصر، ففُعل ذلك"[2].

اختص الخليفة المعز قصره الذي بُني له باجدابية بالنزول فيه بعدما رحل عن قابس ومر بطرابلس ليدخل إقليم برقة ليصل إلى سرت ومنها إلى أجدابية[3]، ووصف "العبدري" قصر إجدابية بأنه مائل وفي خلاء من الأرض[4].

([1]) محمد فرج وآخرين: تقرير أولي عن حفائر اثماد حسان، مجلة عريبيا القديمة، طرابلس، مصلحة الآثار، العدد الأول، 1995م، ص25.

([2]) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص96. ابن أبي دينار، المؤنس، ص81، ابن خلدون، العبر، ج4، ص61.

([3]) ابن أبي دينار: المؤنس، ص82.

([4]) رحلة العبدري، ص236.

امتنعت المصادر عن ذكر منازل قصور الفاطميين ومراحل بناءها، وكذلك لم تذكر من هي الشخصية التي كلفها المعز بحمل مهمة بناء تلك القصور وحفر الآبار. ولكن بروز اسم تميم بن المعز الشاعر، منقوشاً بجلاء فوق الأحجار التأسيسية التي عثر عليها بمبنى القصر (القلعة)، والتي تم حفظها بمتحفي المرج وشحات، تشير إلى أن تميم ابن المعز هو من تكفل بتلك الأشغال من بناء للقصور والقلاع وحفر للآبار والتي بلغت تكاليفها الكثير[1]. وتدل تلك البقايا الأثرية المنقولة إلى متحف شحات من قصر أجدابية، على مدى هيبة وحُسن العمارة الفاطمية ببرقة، والتي تمت زخرفتها بنقوش الأسود المنحوتة على أحجار القصر[2].

والجدير بالذكر أن أول من كان له فضل السبق في التنويه إلى هوية هذا القصر الإسلامية الفاطمية هو أحد الباحثين العرب من دراسته التي نشرها في إحدى المجلات العلمية المتخصصة[3].

يبدو أن المعز قد أُستقبل بقصره في أجدابية استقبالاً حافلاً، وصل إلى حد الإسراف والتبذير، فظهر ذلك في خشية المعز فيما قيل من الكلام عن هذا الاستقبال، وبدا ذلك واضحاً أيضاً، في رد الأمير عبدالله بن يخلف على المعز، بأن الغرض من هذا الاستقبال المهيب بقصره في أجدابية وهو بأفضل زي وهيئة، وعرفاناً بالجميل من أهل المدينة على ما فعله المعز في المدينة، وأنه لا يؤخذ عليك شيء، بل نحن فعلناه من ذات أنفسنا رغبة في افتقادك ومشاهدة حالك[4].

([1]) عثمان الكعاك: مسالك القاهرة، ألفية القاهرة، 1969م، ص34؛ صالح مصطفى مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربي، ص156.

([2]) عثمان الكعاك: مسالك القاهرة، ص33.

([3]) Abdulhamid Abdulssaid: The old of Islamic city of Ajdabiyah, Dep Antiquities, Thripoli, 1976, P.19.

([4]) الجوذري: سيرة جوذر، ص145، 146.

– إحسان عباس ومحمد يوسف نجم: ليبيا في كتب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر، بنغازي، دار صادر، 1968م، ص252، 253.

وكان المعز مصحوباً بالجند والمرافقين من أشهرهم الأستاذ جؤذر، وهو أحد مماليك المعز، والذي مرض مرضاً شديداً فطلب أن يجتمع بالمعز قبل موته فاجتمع به بقصره في أجدابية، وبعد أن مات حُمل إلى القصر الذي به المعز ودفن بمسجد القصر[1].

الوصف المعماري للقصر: (الشكل 2)، (اللوحة 7)

يأخذ القصر شكلاً مستطيلاً أبعاده 28.50م× 20.50م، ولا تتفق هذه المقاييس مع الرفع المساحي لبعض الأثريين عن القصر[2]. وتتوزع على أجزاء المبنى ستة أبراج رئيسية، منها أربعة أبراج مستديرة الشكل في كل زاوية من زوايا القصر وعلى الجهات الرئيسية الأربعة، وقطر هذه الأبراج في أغلبها 3.50م. يفتح كل برج من هذه الأبراج المستديرة في غرفة تتوزع على زوايا القصر الأربعة، أما البرجين الآخرين يتخذان شكلاً مربعاً اتساعهما 2× 2م أحدهما في منتصف الجدار الشمالي، والآخر في منتصف الجدار الجنوبي للمبنى.

ويقع مدخل القصر في الجانب الشرقي، ويبلغ اتساعه 2.85م، ويبلغ سمك الأسوار الخارجية حوالي 1.15م، أما سمكها من الداخل حوالي 70سم، والمدخل عبارة عن ممر بطول 4.26م، يتم الانتقال منه إلى فسحة أمام المدخل اتساعها 8.30م× 3.70م وعلى جانبيها غرفتان صغيرتان.

يتم الانتقال من هذه الفسحة إلى إيوان كبير يقع في مركز القصر تقريباً وهو مربع الشكل، وأبعاده 14× 14م، وتتوزع على جوانب هذا الإيوان[3]، أعمدة مستديرة ضخمة، يبدو

([1]) الجوذري: سيرة جوذر، ص147؛ إحسان عباس ومحمد يوسف نجم: ليبيا في كتب التاريخ والسير، ص254-255.

([2]) H. Blake, A. Hutt and D. Whitehouse: "Ajdabiyah and the earliest Fatimid architecture", Libya Antiqua, V. VIII, Rome, 1971, P. 110.
- Abdulhamid Abdulssaid: "Early Islamic monuments at Ajdabiyah", Libya Antiqua, Volume 1, Rome, 1964, P.117.

([3]) أطلق اسم الإيوان على بعض وحدات القصور الفاطمية. سواء في إفريقية أو القاهرة، ويدل ذلك على أن بعض مجموعات المباني الفاطمية كانت متأثرة ببعض النماذج الفارسية، والإيوان عبارة عن مساحة مستطيلة أو مربعة ذات ثلاثة جدران، واحد في الصور، واثنان جانبيان، أما الجدار الرابع فمفتوح ويشرف على المساحة الوسطى بعقد أياً كان نوعه، وأحياناً بهيئة مسطحة.

أنها هي التي كانت ترفع سقف الإيوان، وعلى امتداد الإيوان، على الجناحين تتوزع عدد من القاعات ثلاثة منها على الجانب الأيمن وثلاثة على الجانب الأيسر، يتم التوصل إليها من داخل الإيوان بمدخلين في كل جانب، وتفتح هذه القاعات في بعضها، أكبر هذه القاعات وعلى الجانبين يصل اتساعهما 8 × 3.50م وتؤديان هاتان القاعتان على الجانبين إلى الأبراج المربعة الواقعة في منطقة منتصف أسوار القصر.

يمثل الجزء الثالث من القصر والذي يقع في نهاية الركن الغربي منه، في مؤخرة المبنى، كتلة أو قاعة العرش، والتي تبدأ بعد تخطي الإيوان عن طريق مدخلين يؤديان إلى ممر عرضي، اتساعه 3.25م على جانبي هذا المدخل عمودان دائريان، وهذه القاعة مستطيلة 7.50×4م، ومغطاة بقبو نصف دائري الشكل، وتنتهي القاعة بدخله على شكل حنية دائرية يتقدمها عمودان دائريان أيضاً، أصغر حجماً، واتساعها 3×2.20م، وتغطي هذه الحنية قبة واضحة.

تجدر الإشارة إلى وجود قاعتين على جانبي كتلة العرش إحداهما على اليمين والأخرى على الشمال، يتم الدخول إليهما بمدخلين من الممر السابق ذكره والذي يتقدم قاعة العرش.

يرى الدكتور "فريد شافعي" أن التحصينات الفاطمية أقيمت على غرار المنشآت البيزنطية من حيث الطراز والعناية، حيث كُسيت جدران الأسوار بالحجارة المنحوتة وزودت بالأبراج الضخمة المستديرة والمربعة، وزودت بالمداخل الضخمة والتي بقى منها بالقاهرة ثلاثة مداخل أو بوابات هي: باب الفتوح، وباب النصر، وباب زويلة المعروف بـ (بوابة المتولي)[1]، وكل ما ذكر يتطابق مع قصر أجدابية الفاطمي، والذي تم وصفه معمارياً.

- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تح. الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت– لبنان، ط1، 1996م، ص552.
- محمد حمزة إسماعيل الحداد: المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط3، 2008، ص89.

([1]) فريد محمود شافعي: العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1982م، ص75.

أظهرت التنقيبات الأثرية الحديثة، أن مباني وقصور الفاطميين بالقاهرة كانت عمارتها على طراز المباني ذات الفناء المركزي، المتعدد الوحدات[1]، وهذا يتفق مع الطراز الذي بني عليه قصر أجدابية الفاطمي.

يُستدل أيضاً من الحفريات الأثرية عن أسوار مدينة المهدية – العاصمة الأولى للفاطميين في إفريقية – على مدى حصانة أسوارها البرية، التي وصلت إلى ارتفاع 12م، كما بلغ سمكها 10م، وعلى طرفي السور البحري برجان مستديران، وعلى قاعدة متعددة الأضلاع، أما الأسوار البحرية المحيطة بالمدينة فكانت أقل تحصيناً، إذ بلغ سمكها ما بين 1.50- 2.75م[2]. مما يعني أن المظاهر العسكرية في بناء العاصمة الفاطمية الأولى لم تكن موجهة للعدو البحري الخارجي بقدر ما كانت موجهة للفتن الداخلية المتوقعة من قبل البربر.

جـ- قصر (قلعة) المعزية أو العزيات:

يقع هذا القصر جنوب مدينة درنة التاريخية بمنطقة العزيات جنوب شرق الجبل الأخضر، وينسب القصر إلى الفاطميين عند انتقالهم إلى مصر، وهو ثاني القصور الإسلامية التي ترجع للعهد الفاطمي في الإقليم[3]. وتم ذكره عند "ابن أبي دينار" كمحطة من محطات المعز التي نزل بها، بما نصه: "... ورحل عنها ونزل بقصره الذي بني له بأجدابية. ورحل من أجدابية فنزل بقصره المعروف بالمعزية في برقة، وظل في سيره منها إلى أن وصل الإسكندرية..." [4].

والنص السابق يشير إلى شيئين مهمين، أولهما شهرة أسم القصر بقصر المعزية، وثانيهما عدم ذكر محطة أساسية لتوقف المعز بعد محطة أجدابية وقصر المعزية في برقة حتى الإسكندرية.

---

(1) نفس المرجع، ص68.

(2) محمد المرزوقي: مدينة المهدية، تونس 1980م، ص25-27؛ سعد زغلول عبدالحميد: العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت، ص368-369.

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص96.

(4) المؤنس: ص82، الزاوي، تاريخ الفتح العربي، ص257.

نستطيع هنا أن نخمن مدى العلاقة بين اسم القصر المعروف به الآن، وكذلك المنطقة الموجود فيها، وبين أسم الخليفة المعز لدين الله، والذي يبدو أنه قد حرف بمرور الزمن من المعزية إلى العزيات.

يؤكد المؤرخون المعاصرون على هوية القصر الإسلامية الفاطمية وبأنه واحد من تلك القصور التي أقيمت لاستراحة المعز لدين الله الفاطمي في برقة، ونزل به وهو ذاهب إلى مصر سنة 362هـ/ 972م، وهو يقع شرقي أجدابية بمرحلة[1].

الوصف المعماري للقصر (القلعة): (الشكل3)، (اللوحة 8):

يحيط بمبنى القصر أو القلعة أسوار تسبق الوصول إليها، ويتوسط هذه الأسوار التي تبدو في حالة سيئة، المدخل الذي يتوسط السور الشرقي، حيث تبدو البوابة على شكل قوس كبير الحجم، وعند تخطي الأسوار باتجاه القلعة وهي الجزء الكامل والواضح بين تلك الأسوار، تعترضنا بقايا لأسوار صغيرة مغطاة بعقود نصف دائرية على شكل بائكة[2]، تمثل بهواً أو استراحة أمام مبنى القلعة. والباقي من هذه الجدران الآن، الجدار الجنوبي المتجه إلى باب القلعة الداخلي وهو مغطى بعقدين نصف دائريين، ويلتصق به جدار آخر من الناحية الغربية ومغطى بعقد نصف دائري، ويبدو هذان الجداران على شكل هندسي منحرف عند نهايتهما من أسفل، ولا نستطيع نسبة هذه البقايا من الأسوار إلى القلعة أو أنها تمثل بناءً مستقلاً.

تقع القلعة في المركز تماماً من تلك الأسوار السالفة الذكر، ويبدو مبنى القلعة من الخارج على شكل مربع بأبعاد 15.50×15متراً، والأسوار تأخذ شكلاً منحرفاً وبارتفاع 7أمتار، بحيث تأخذ الأسوار عرضاً واتساعاً من ناحية القاعدة، وتزداد هذه الأسوار ضيقاً كلما اتجهت إلى أعلى، معطية القلعة شكلاً خارجياً واضحاً للعيان شبه هرمي.

يتم الدخول إلى القلعة من مدخلين رئيسيين: المدخل الأول، من الجهة الجنوبية يبلغ اتساعه 90سم وبارتفاع مترين، وهو متصل بممر مساحته 4×2.20متراً ويغطى هذا الممر بقبو جملوني الشكل تعلوه فتحة مثلثة الشكل في اتجاه المدخل من الجانب الجنوبي، وفتحة

([1]) الطاهر الزاوي: معجم البلدان الليبية، ص321؛ تاريخ الفتح العربي، ص257.

([2]) البائكة: عبارة عن صف من الأعمدة أو الدعامات تعلوها عقود يرتكز عليها السقف، وأحياناً يرتكز السقف على الأعمدة والدعامات دون وساطة العقود.

– محمد حمزة إسماعيل الحداد: المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، ص89.

أخرى في الجانب الشرقي تحت السقف الجملوني، والمقصود منهما الإضاءة والتهوية. على يسار الداخل باتجاه الغرب ينتقل من ممر المدخل إلى باب نصف دائري يؤدي إلى غرفة صغيرة مغطاة بقبة قمعية الشكل بوسط القبة فتحة دائرية للإضاءة، في الزاوية الجنوبية الغربية من الغرفة توجد بئر من المياه دائرية الشكل، وتنتهي هذه الغرفة من الجانب الشمالي الشرقي بممر منكسر (مُزْوَرّ) يفتح على فسحة عبر باب ضيق جداً لا يكاد يدخل الشخص الواقف ومغطى بقوس نصف دائري، ويبلغ اتساع هذه الغرفة 3×3م.

وبتخطي ممر المدخل السالف الذكر عبر مدخل واسع ومغطى بعقد نصف دائري يتم المرور إلى استراحة أو فسحة بوسط المبنى اتساعها 4×3.40متراً مغطاة بقبة دائرية الشكل بوسطها فتحة للإضاءة.

يظهر للعيان المدخل الثاني للمبنى من الجانب الشرقي، والذي يفتح بالاستراحة الموجودة وسط المبنى، ويعلو المدخل عتبة مسطحة واتساعه 1.15م وبارتفاع 2م. وتؤدي هذه الاستراحة الموجودة بالمركز تماماً إلى غرفة مربعة الشكل في الجانب الغربي، مدخل نصف دائري ومسقوفة بقبة نصف دائرية وفي وسطها فتحة للإضاءة والتهوية.

يثير الاهتمام وجود فتحة على هيئة نافذة بمنتصف هذه الاستراحة بمنتصف الجدار الغربي، يتم الانتقال عن طريقها إلى درج ينتهي بنا إلى سقف القلعة وبشكل سري للغاية ويأخذ الدرج قلبتين القلبة الأولى من الشرق والأخرى باتجاه الجنوب للوصول إلى السطح.

يوجد بعض الملحقات الواضحة للعيان على الجانب الشرقي من القلعة، تبدو على شكل ممرات، على الأغلب أنها أعدت كغرف للمخازن أو سجون أو خدمات للقلعة. وبعض هذه الممرات يبدو أنها استغلت كحمامات ملحقة خارج مبنى القلعة وذلك لاستعمال مادة الآجر الأحمر في بناء بعضها، مع عدم توفر الأجر في هذه المنطقة الصحراوية.

د- حصن توكرة الإسلامي: (اللوحة 9):

يقع هذا الحصن جنوب غرب مدينة توكرة[1] الأثرية القديمة، وبجانب الحمامات

([1]) تقع مدينة توكرة في الطرف الشمالي من سهل بنغازي في المنطقة المعروفة بإسم الساحل، وهي تقع بموقع جغرافي استراتيجي مهم، حيث تقع على الطريق الرئيسي بين الجبل الأخضر، وخاصة مدينة المرج (برقة المدينة) وبين سهل بنغازي. وعرفت باسم مدينة توخيراً (Teuchira) بواسطة مؤسسي المدينة الإغريق، ثم أصبحت فيما بعد بإسم أرسينوي (Arsinoe).

الرومانية وبوابة المدينة القديمة.

ذكر "الإدريسي" حصن توكرة على أنه قصر كبير وعامر بأهله وفيه قوم من البربر، وحوله أرض عامر وسواني والشعراء المحيطة به[1].

يمثل الحصن في رأي "Goodchild جودشايلد"– الذي قام بالإشراف على الحفريات التي قامت بها مصلحة الآثار الليبية بالمدينة من عام 1962–1965م – آخر موقع للحامية البيزنطية في توكرة قبل سقوط البيزنطيين أمام العرب، ولا ينفي أيضاً نسبته إلى بدايات الفتح العربي لإقليم برقة[2].

يبدو أن هذا الحصن قد أعيد استخدامه بعد العصر البيزنطي، وتم استغلاله ببداية الفتح العربي، وهو في حالة سيئة حالياً ولا يبرز منه إلا بعض الأساسات متمثلة في السورين الشمالي والشرقي، يتضح من خلالهما البرجان موزعين على الركنين الشمالي الشرقي، والشمالي الغربي، وهما يتخذان شكلاً مستديراً وفق الطراز الإسلامي بالعمارة. والجدران مشيدة من أحجار منزوعة من مباني أقدم عهداً وهي ترتكز فقط على طين متماسك فوق سطح الأرض، مما أدى إلى تصدعها وتشققها. وذلك يرجح إقامة المبنى على عجل على عكس القلاع والحصون البيزنطية. وهذا يؤكد بناء الحصن مع بداية الفتح العربي عام 22هـ/642م.

يشغل الحصن من الداخل مبانٍ أقيمت بغير عناية من بينها فناءان أحدهما في الركن الشمالي الشرقي، وله أعمدة حجرية ذات تيجان دُورِية وأَيُونية[3]، معاد استخدامها، أما

– ر. أ. بونتوفت: برقة، تر. إبراهيم أحمد المهدوي، مكتبة (5) التمور، بنغازي– ليبيا، ط1، 2010م، ص27، 28.

([1]) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص315.

([2]) Goodchild: R. G., Excavation in Progress, 1964, P. 5.

([3]) التاج الُدوري والإيوني: من أشهر طراز التيجان التي اصطنعها اليونان هي طراز التاج الدُوري (Doric)، وهو أقدمها وكان بسيطاً ويتألف من عصابة محدَّبة مستديرة تعلوها طبلية مربعة. وطراز التاج الأيوني (Ionic)، وكان مستطيلاً ذا حُلية درجية أو حلزونية عند كل زاوية من زواياه.

– غاسبري ميسانا: المعمار الإسلامي في ليبيا، تر. الدكتور مصطفى العجيلي، طرابلس – ليبيا، 1973م، ص175.

الفناء الآخر غير واضح ولم يكتمل الكشف عنه من قبل البعثات الأثرية، ويقع في الشمال الغربي. ويوجد عدد من الحجرات الصغيرة المربعة في الغالب أنها كانت تمثل ثكنات للجند. وبالقرب من وسط المبنى يوجد حمام صغير يعتقد أن استعماله كان مقتصراً على الشخصيات المُهمة داخل الحصن، ويمثل تصميم الحمام صورة مصغرة ومبسطة لما كانت عليه حمامات الفترة البيزنطية، من حيث وجود الموقد وعلى جانبيه مغطسان صغيران، ثم الحمام الساخن والحمام البارد، وتستند أرضية كل منهما على أعمدة مربعة حجرية بدلاً من الأعمدة المربعة العادية من الآجر، وزود الحصن بثلاثة آبار لحفظ المياه.

يشير وجود هذا الحصن بالمدينة إلى أن العرب الفاتحين قد أقاموا فترة ولو كانت قصيرة بتوكرة قبل أن ينتقلوا إلى عاصمتهم بمدينة برقة.

ثالثاً: أثر العمارة الدفاعية على الأبنية المتأخرة: (الشكل 4ـ5) (اللوحات 10ـ12):

بدا تأثير العمارة الحربية الدفاعية للمباني الإسلامية ممتداً إلى فترة متأخرة جداً من الحكم الإسلامي للمنطقة حيث استمر إلى الفترة العثمانية، ونجد ذلك في قلعتي القيقب وتوكرة. من حيث التخطيط، ومادة البناء، وكتلة المدخل، وشكل وحجم الأسوار والأبراج.

مثلت قلعة القيقب – التي بدأ تشييدها قبل عام 1269هـ/ 1852م، والتي ذكرها الرحالة الإنجليزي "Hamilton هاملتون" عند مروره بها مشاهداً جزءاً من عملية البناء[1] – جانباً مهماً في عملية الاحتفاظ بالطابع الإسلامي التقليدي، والذي شيدت عليه القلعة خلال تلك الفترة، وكانت بذلك امتداداً للطراز الإسلامي في العصور الوسطى. ووقفنا من خلالها على خصائص العمارة الحربية في المغرب بشكل عام، وفي برقة بشكل خاص، ويصفها الرحالة الإيطالي "Haiman هايمان"، بالبناء الشامخ الذي تظهر عليه مظاهر العمارة الإسلامية في العصور الوسطى[2].

شُيدت القلعة فوق هضبة مرتفعة، تميزت بخصائص دفاعية هامة تتفق ووظيفة القلعة، لتأخذ شكلاً مربعاً تقريباً 50×47متراً، يتوسط مدخلها الرئيسي الجانب الجنوبي من المبنى، يبلغ اتساع المدخل 2.30م وبارتفاع 2.60م يتوجها عقد نصف دائري يتصل بممر طوله ثمانية أمتار يؤدي للفناء الداخلي للقلعة، بعد تخطي مدخل مغطى بعقد نصف دائري على شاكلة المدخل الأول، وتفتح بممر المدخل المشار إليه قاعة على يمين المدخل على الجانب الشرقي، يبدو أنها كانت مخصصة للحراسة.

ويتوصل من المدخل إلى فناء يتوسط القلعة وهو مربع الشكل تقريباً طول ضلعه الشمالي 36.15م وضلعه الغربي 36.50م، وتتوزع على جوانب هذا الفناء الداخلي العديد من الغرف بما فيها واجهة المدخل الجنوبية.

([1]) Hamilton, James: Wandering in north Africa, London, 1856, P. 55.
([2]) Haiman: Giuseppe, Cirenaica, Milano, Hoepli, 1966, P. 1155.

تتوزع أبراج القلعة المستديرة الشكل بأركانها الأربعة، بحيث يشرف كل برج من الأبراج الأربعة على جانبين من جوانب القلعة المقابلة للجهات الأصلية، ثم على الجهات المنحرفة من جهة أخرى، واشتمالها جميعاً على أربع فتحات متماثلة في طريقة توزيعها على عمارة كل برج.

أما قلعة توكرة فترجع إلى الفترة العثمانية أيضاً، والتي استعملت كمرقب حربي أكثر منه قلعة عسكرية لمواجهة الأخطار التي تتهدد الساحل البرقاوي، والتي تم ترميمها قبيل الاحتلال الإيطالي وكذلك خلال الفترة الإيطالية، نظراً لموقعها المتميز [1].

تقع القلعة على الجانب الشمالي الشرقي من مدينة توكرة الأثرية ولا يفصلها عن شاطئ البحر إلا مسافة 150م تقريباً. حيث تأخذ القلعة شكلاً مربعاً ومدخلها الرئيسي بالجانب الشرقي، ولا تفصل الداخل إلا مسافة 2م ليتخذ سلماً يتكون من 16 درجة يؤدي إلى الطابق الثاني، يوصل إلى أربع قاعات صغيرة الحجم أكبر هذه القاعات يتخذ شكلاً مربعاً طول ضلعه أربعة أمتار. تغطي أبواب القلعة في مجملها عقود محدبة الشكل.

يبرز المدخل الغربي للقلعة، الذي يتقدمه سلم حجري من 7 درجات يتوج المدخل عقد محدب، يماثل المدخل الشرقي للقلعة، وتعلو هذه الواجهة الغربية من المبنى أشكال دفاعية حربية على شكل الشرفات المسننة على غرار القلاع المغربية.

يشغل برج القلعة الوحيد نهاية الجهة الجنوبية للقلعة، وتبدأ قاعدته المربعة من الطابق الثاني للقلعة، يلاصقه غرفة مربعة طول ضلعها ثلاثة أمتار.

ويتوصل إلى أعلى برج القلعة من جانبه الشمالي من خلال سلم حجري بمدخل نصف دائري الشكل، ويتكون السلم من ثلاث قَلْبَات تتكون الأولى من سبع درجات والثانية من ثلاث درجات والثالثة من ست درجات، ليتم الانتقال إلى قمة البرج، وتتوج نهاية البرج بشرفات مسننة، وقد أوجد المعمار في الجزء الأعلى من البرج فتحة باتجاه الجنوب وأخرى

---

(1) فوزي عبدالرحمن الفخراني: أضواء على تاريخ توكرة (المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية)، ليبيا– طرابلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الثقافة، القاهرة، 1973م، ص565.

باتجاه الشرق للمراقبة، ويبلغ ارتفاع البرج من الطابق الثاني للقلعة حتى بداية الأشكال المسننة 7.35متراً أما الأشكال المسننة فترتفع بمقدار 40سم.

يتضح من خلال العرض السابق للقلعتين المذكورتين التزامهما بخصائص العمارة الإسلامية والمغربية خصوصاً من حيث التخطيط وشكل الأسوار وسمكها وارتفاعها ومادة بنائها، بما في ذلك استخدام الإيوان الذي يتوسط المبنى وتوزع الأبراج المستديرة الشكل على زوايا جدران المبنى كما هو الحال بقلعة القيقب وعلى غرار قصر إجدابية الفاطمي، بالإضافة إلى استخدام الأبراج المربعة الشكل المنتهية بأشكال دفاعية مسننة كما لوحظ بقلعة توكرة، ومر بنا بقصر العزيات وبرجي منطقة الوسط بقصر أجدابية الفاطمي اللذان اتخذا شكلاً مربعاً بمنتصف السورين الشمالي والجنوبي من المبنى.

إن تناول هذا النوع من العمارات الدفاعية في برقة يُوضح أنها لم تكن بمنأى عن الاهتمام الدفاعي الذي شمل أقاليم العالم الإسلامي. فانتشار القصور والقلاع على طول الساحل البرقاوي بما فيها المنطقة الشبه الصحراوية المتمثلة في واحات الإقليم الجنوبية تظهر مدى الأهمية العسكرية لبرقة.

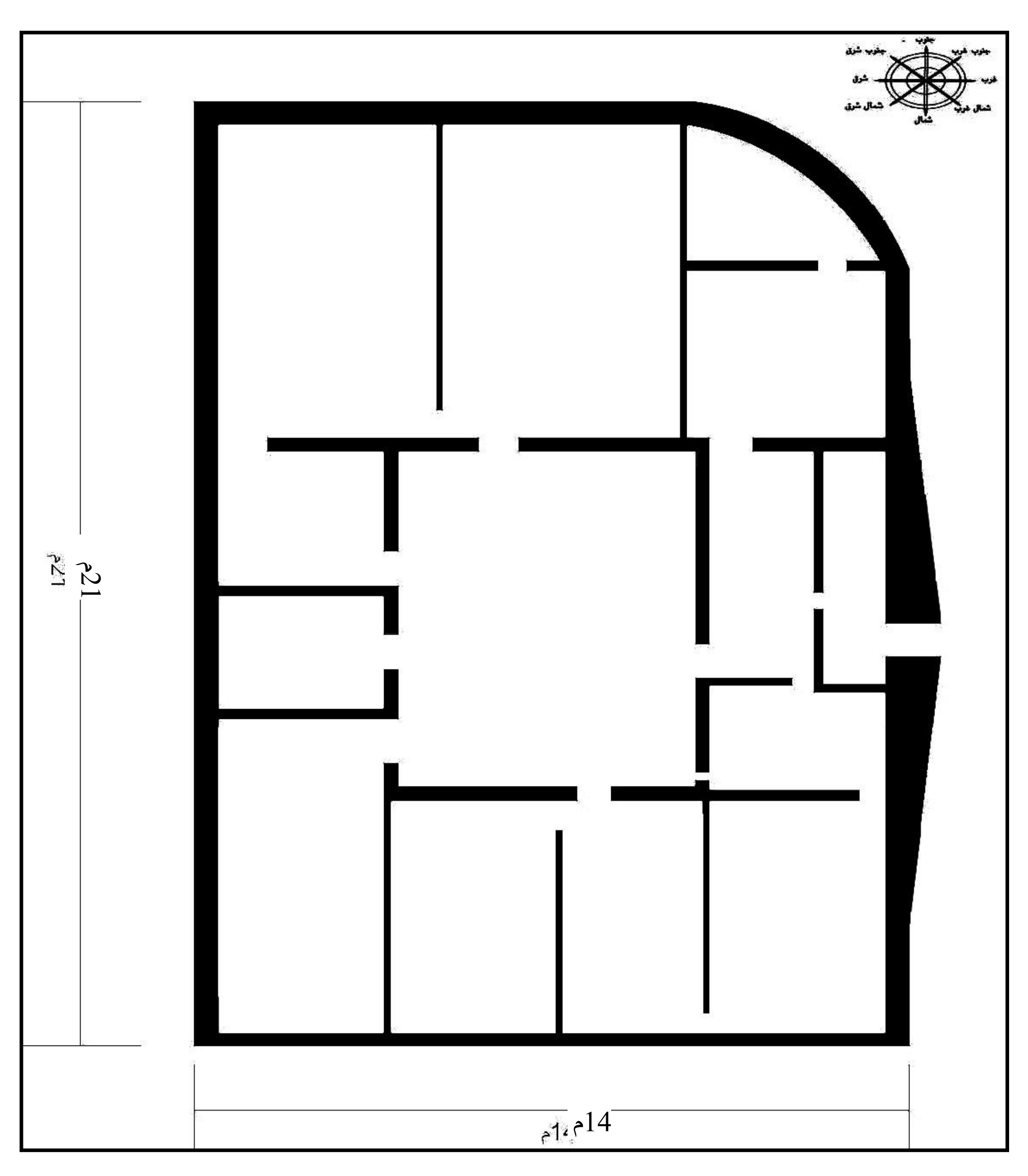
كذلك أبانت الأسوار والبوابات الضخمة والمدعمة بالأبراج المستديرة والمربعة، أنها متأثرة بالنظام الدفاعي الروماني والبيزنطي، حيث أُستعملت تلك المباني القديمة بإعادة استخدامها أو الاعتماد على أحجارها في بناء قلاع الفترة الإسلامية والتي اكتسبت أهمية من الناحية الحجمية من سمك للأسوار وارتفاعها واستخدام الأبراج العالية، أكثر من الناحية الجمالية، وذلك طبقاً لوظيفتها الدفاعية البحتة.

وقد استمر تأثير الخصائص المعمارية والإسلامية في البناء في برقة إلى فترة متأخرة جداً من حيث شكل البناء والتخطيط واستعمال وحدة الإيوان الذي يتوسط المبنى وتتوزع على جوانبه بقية أجزاء القصر أو القلعة، واستعمال كل ما من شأنه الدفاع عن المبنى من أبراج مربعة ومستديرة والتي ظلت سمة من سمات العمارة الإسلامية في المغرب العربي بشكل عام.

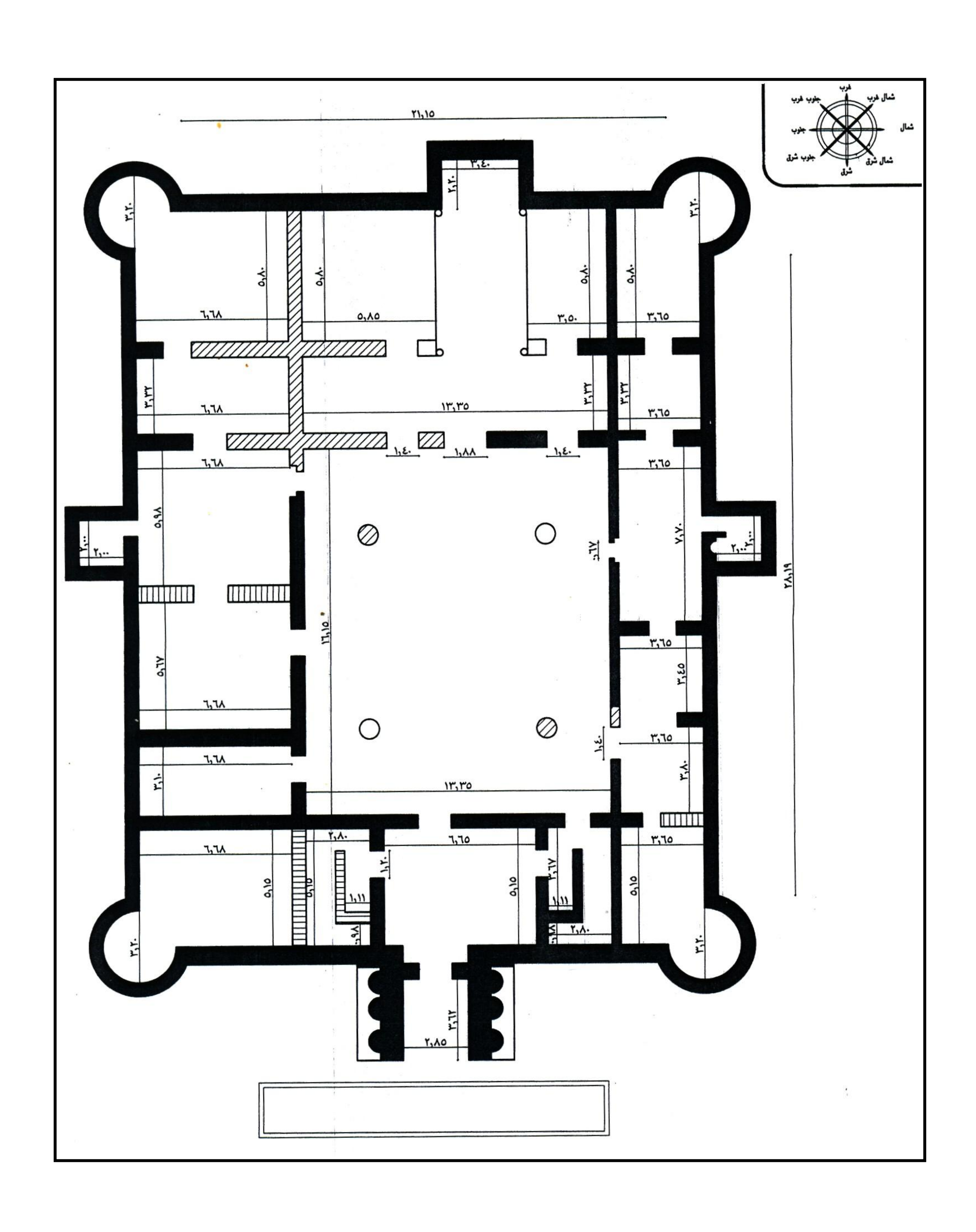
نخلص من هذه الدراسة التي خُصت بالعمارة الدفاعية الحربية في برقة، أنها تفردت بعدد من الخصائص بعد التناول الميداني لتلك العمائر في فترة موضوع الدراسة أهمها:

- اختيار مواقع إستراتيجية منيعة لإقامة القلاع والقصور والحصون، أما على قمة جبل في المناطق الجبلية، كما هو عليه قصر المعزية أو بعيدة عن البحر بما يكفي في المناطق الساحلية مع الأخذ في الاعتبار التحصين التضاريسي واستغلال السهل والجبل، كما هي عليه قصور حسان وقلعة توكرة، أو اختيار أعلى تلة لامتداد منطقة الرؤية في المناطق الصحراوية كما في قصر إجدابية. متبعين في ذلك نفس النهج في اختيار المواقع التي اتخذها الرومان والبيزنطيون، وغالباً ما تم البناء على أنقاض تلك المباني القديمة التي ترجع للعصرين الروماني والبيزنطي، مما سهل الاستفادة من العناصر المعمارية القديمة في البناء والتسقيف وإعادة استعمال الأعمدة والأحجار، وأكسبت المباني الإسلامية المبكرة خصائص تحصينية عالية، وذلك لمحاكاتها العمارة الرومانية والبيزنطية.
- تنوع استخدام الأبراج في التحصين، فمنها ما اتخذ شكلاً نصف دائري ومنها ما اتخذ شكلاً مربعاً، وقد يشتمل القصر أو القلعة على الشكلين الأسطواني والمربع، كما مر بنا في قلعة أجدابية، حيث أُستعملت الأبراج الأسطوانية في زوايا المبنى الرئيسية، وأُقتصر استعمال الأبراج المربعة على منطقة المنتصف من الأسوار، زيادة في التحصين والتدعيم.
- التركيز على ضخامة تحصينات المدخل بالإضافة إلى سمك وارتفاع الأسوار التي وصل ارتفاعها إلى ما يزيد عن سبعة أمتار، واستعمال الحجارة الصلبة الكبيرة الحجم في بناء ودعم تلك الأسوار. مما جعلها تقاوم عوامل التعرية والزمن لمدة أطول.
- استخدام عنصر الإيوان أو الفناء المركزي في التخطيط، والذي تتوزع على جوانبه بقية أجزاء المبنى، وتعدد الغرف والتي عادة ما تكون مزودة بأكثر من مدخل وتفتح في كتلة الإيوان وتؤدي إلى بعضها البعض.

- أما من الناحية الجمالية فلم تَخْلُ تلك القصور والقلاع منها، سواء من خلال المنظر الخارجي للأسوار والأبراج أو في استعمال الزخارف الداخلية كالكتابات القرآنية والزخرفة النباتية والحيوانية أيضاً، كما في لوحة الأسود التي أُستعملت لزخرفة قصر إجدابية الفاطمي.
- من خلال التطرق إلى مباني دفاعية متأخرة تاريخياً عن فترة موضوع الدراسة لوحظ استمرار تأثير الهيكل التخطيطي للمباني المبكرة، كما هو عليه تلك القلاع المتأخرة وبنفس المواصفات المعمارية التي تمت الإشارة إليها سابقاً.
- المهم تاريخياً أن تلك القلاع والقصور قد أظهرت مدى الأهمية الإستراتيجية والحضارية لإقليم برقة الإسلامي.

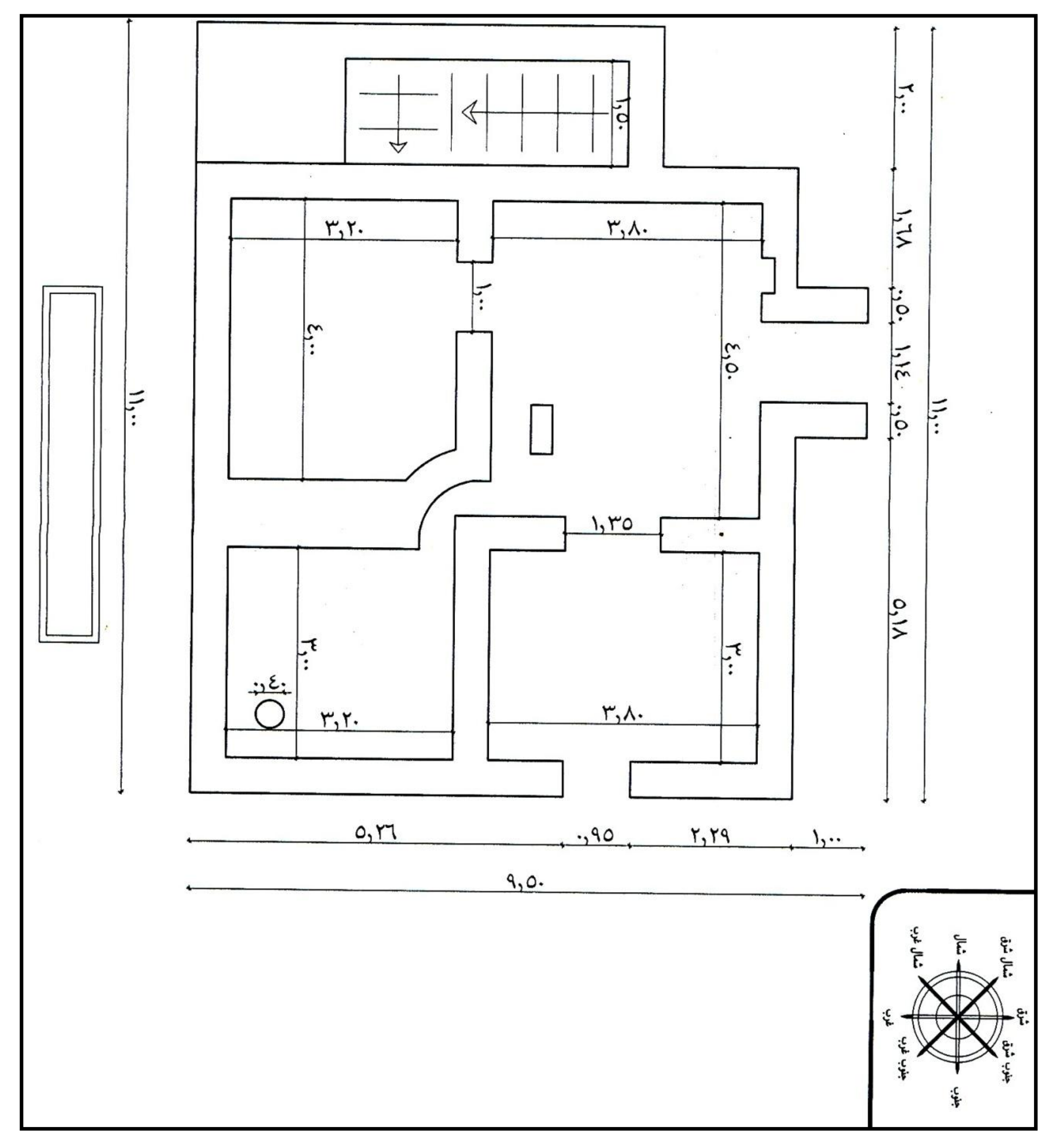


شكل (1): مسقط أفقي لـ (قصر اثماد) أحد قصور حسان (عمل الباحث)

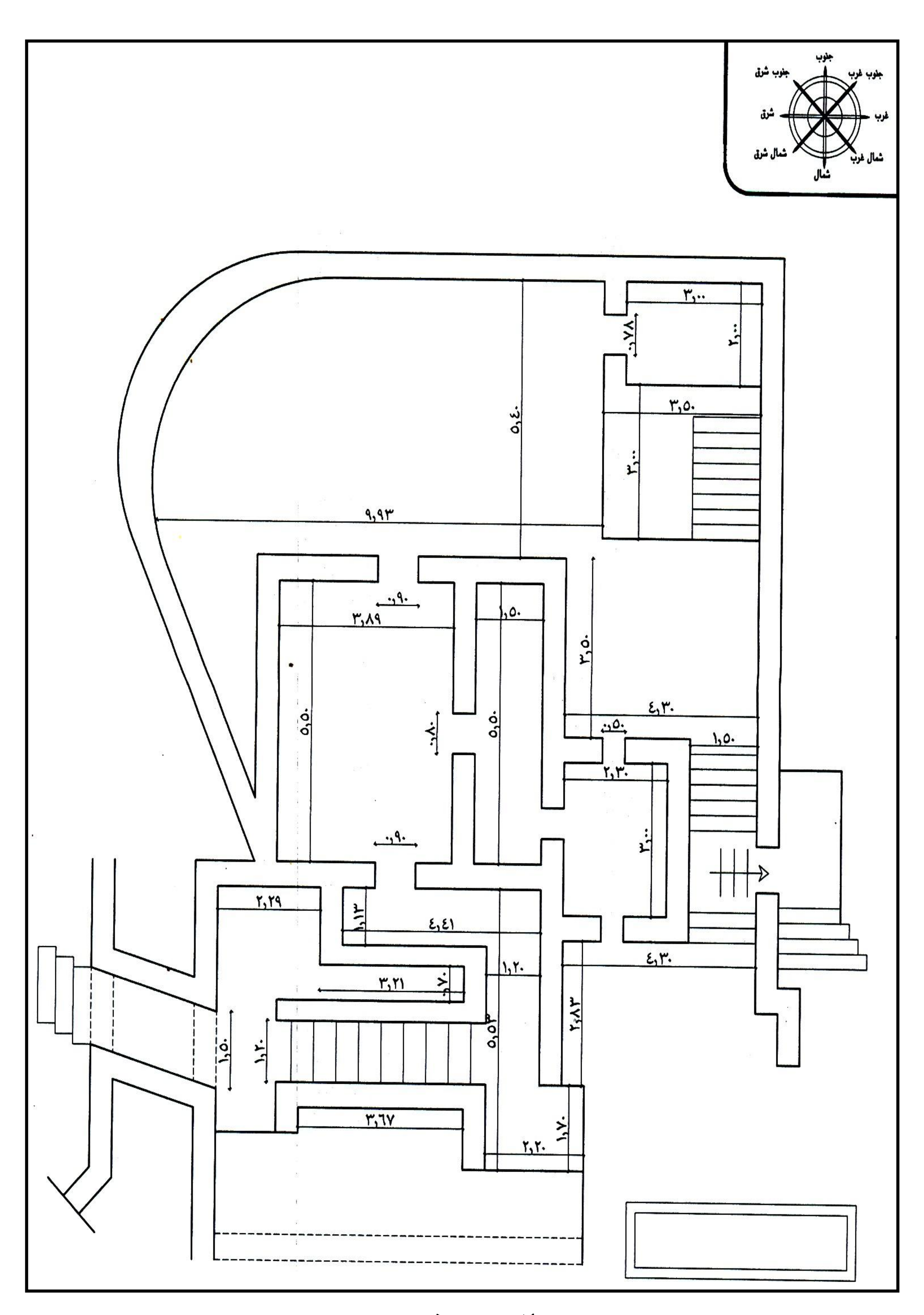


غرب
شمال غرب
جنوب غرب
جنوب
شمال
جنوب شرق
شمال شرق
شرق
٢١,١٥
٢٨,١٩
٣,٤٠
١٣,٣٥
١٦,١٥
٦,٦٨
٥,٨٥
٣,٥٠
٣,٦٥
١,٤٠
١,٨٨
٦,٦٥
٢,٨٠
٢,٨٥
٣,٦٢

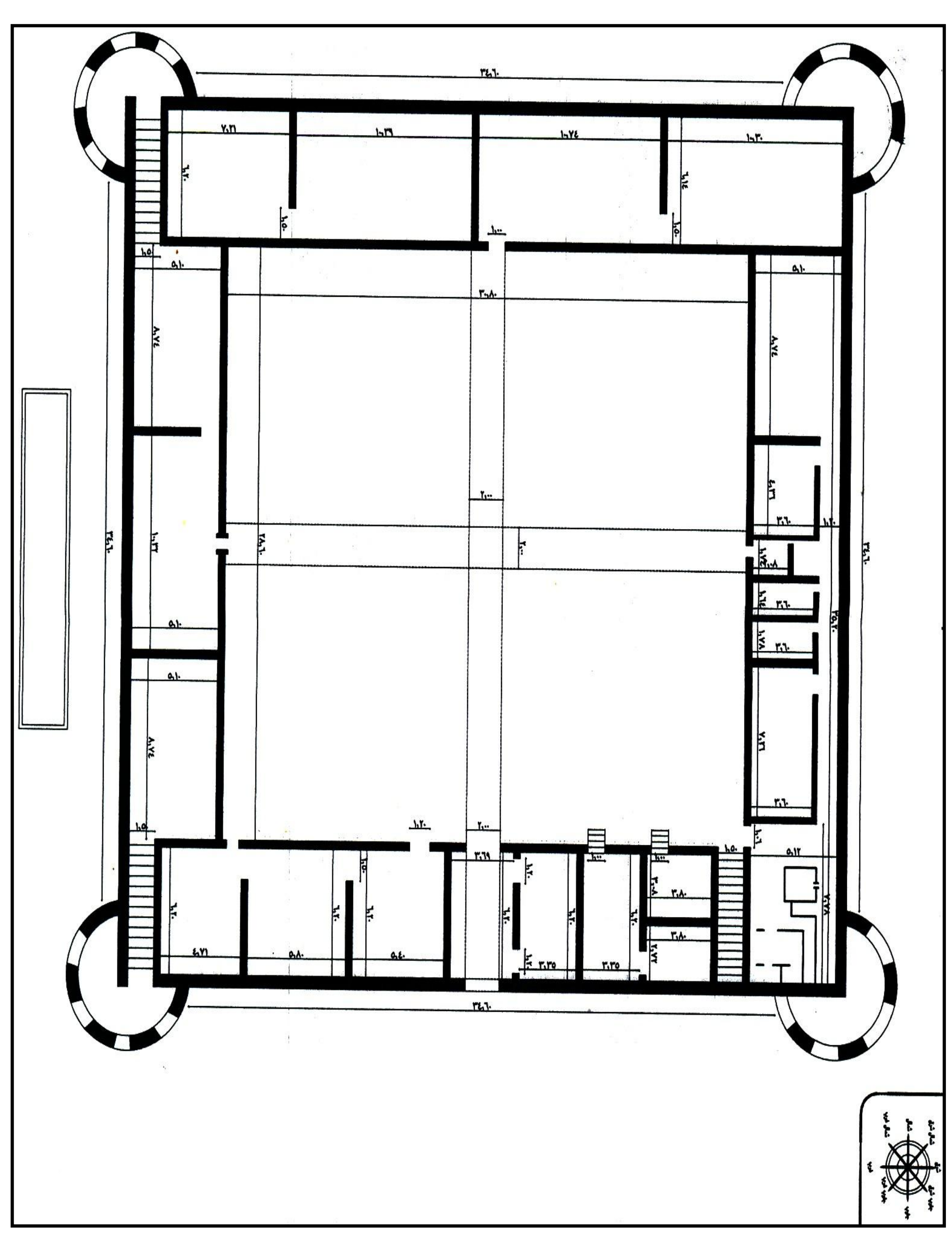
شكل(2): مسقط أفقي لـ (قصر – قلعة) أجدابية الفاطمي (عمل الباحث



شكل (3): مسقط أفقي لـ (قصر - قلعة) العزيات أو المعزية (عمل الباحث)



شكل (4): مسقط أفقي لـقلعة توكرة (عمل الباحث)



شكل (5): مسقط أفقي لقلعة القيقب (عمل الباحث)



لوحة (5)

لوحة (5، 6) قصر اثماد حسان من الخارج وردهات القصر من الداخل (تصوير الباحث)



لوحة (7) قاعة العرش بقصر أجدابية (تصوير الباحث)





لوحة (11) السور الشمالي والبرجين الشرقي والغربي لقلعة القيقب (تصوير الباحث)



لوحة (12) وحدة الايوان او الصحن بوسط قلعة القيقب (تصوير الباحث)



لوحة(13)قصر المقدم ـ قلعة بني أقديم ـ كمثال للعمارة البيزنطية ببرقة (تصوير الباحث)

لوحة (14) البرج الشمالي الشرقي لقصر المقدم ـ قلعة بني أقديم (تصوير الباحث)

ثبت بالمصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

1- ابن الأثير، عزالدين ابوالحسن علي بن ابي الكرم (ت630هـ/1232م):الكامل في التاريخ، تح. أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط. 1، 1987

2- ابن حوقل، ابوالقاسم محمد بن علي الموصلي (ت380هـ/990م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان، 1992م.

3- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م):العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح. خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت لبنان، 2001م.

4- ابن سعيد المغربي، ابي الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1286م): بسط الأرض في الطول والعرض، تح. إخوان قرنيط خينيس، قطوان، 1958م.

5- ـــــــ: كتاب الجغرافيا، تح. إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للنشر، بيروت، ط1، 1970م.

6- ابن عبدالحكم، ابي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت257هـ/871م): فتوح مصر وأخبارها، مكتبة المثنى، بغداد، ليدن، 1930م.

7- ابن عذارى بن محمد (ت بعد 712هـ/1260م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1983م.

8- الإدريسي، ابوعبدالله محمد بن عبدالله الحمودي (ت564هـ/1168م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

9- البكري: المسالك والممالك، ج2، تح. أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992م

10- االجوذري، ابو علي منصور العزيزي (ت386هـ/996م): سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تح. محمد كامل حسين، ومحمد عبدالهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1954م.

11- العبدري، ابوعبدالله محمد بن محمد الحيحي (ت بعد690هـ/1291م): رحلة العبدري (الرحلة المغربية)، تح. محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية، الرباط، 1968م.

12- القاضي النعمان (ت363هـ/973م): المجالس والمسايرات، تح. الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت لبنان، ط1، 1996م.

13- المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، 1994م.

14- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ/1441م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح. جمال الدين الشيال، القاهرة، 1967م.

15- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابوعبدالله الرومي (ت626هـ/1229م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1979م.

16- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب اسحاق (ت284هـ/897م): كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2002م.

ثانياً: المراجع العربية:

17- إحسان عباس ومحمد يوسف نجم: ليبيا في كتب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر، بنغازي، دار صادر، 1968م.

18- سعد زغلول عبدالحميد: العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1986م.

19- صالح مصطفى مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1992م.

20- الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس ليبيا، ط1، 1968م.

21- علي سالم لترك: مدينة توكرة (توخيرا القديمة)، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 1978م.

22- فريد محمود شافعي: العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1982م.

23- محمد حمزة إسماعيل الحداد: المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الآثارية والنصوص الوثائقية والتاريخية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط3، 2008م.

24- محمد المرزوقي: مدينة المهدية، تونس، 1980م.

25- عثمان الكعاك: مسالك القاهرة، ألفية القاهرة، 1969م.

ثالثاً: المراجع الاجنبية المترجمة:

26- ر. أ. بونتوفت: برقة، تر. إبراهيم أحمد المهدوي، مكتبة (5) التمور، بنغازي ليبيا، ط1، 2010م.

27- غيزا فيهر أفاري وآخرون: حفريات سرت (مدينة سلطان)، 19771981م، تر. مصطفى عبدالله الترجمان، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، 1983م.

28- غاسبري ميسانا:المعمار الاسلامي في ليبيا،تر علي الصادق حسنين،طرابلس الغرب،1972م.

رابعاً: الدوريات العربية:

29- محمد عبدالهادي شعيرة: الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية، ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، كلية الآداب، الجامعة الليبية، 1968م.

30- محمد فرج وآخرون: تقرير أولي عن حفائر آثماد، مجلة عريبيا القديمة، طرابلس،

مصلحة الآثار، العدد الأول، 1995م

31- فوزي عبدالرحمن الفخراني: أضواء على تاريخ توكرة (المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية)، ليبيا طرابلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الثقافة، القاهرة، 1973م.

سادساً: المراجع والدوريات الاجنبية:

32- Abass Hamadani : "Some a Spects of the history of Libya during the fatmid", Libyan in history, Dar El Mashriq, Baerot, 1968.

33- Abdulhamid Abdulssaid: "Early Islamic monuments at Ajdabiyah", Libya Antiqua, Volume 1, Rome, 1964.

34- Abdulhamid Abdulssaid: The old of Islamic city of Ajdabiyah, Dep Antiquities, Thripoli, 1976.

35- Goodchild, R.G.: Excavation in progress, Libya antiquity, 1964.

36- Goodchild, R.G.: Forts in south west Cyrenaica, Antiquity, XXV (1951).

37- H. Blake, A. Hutt and D. Whitehouse: "Ajdabiyah and the earliest Fatimid architecture", Libya Antiqua, V. VIII, Rome, 1971.

38- Haiman: Giuseppe: Cirenaica, Milano, Hoepli, 1966.

39- Hamilton, James: Wanderings in north Africa, London, 1856.

40- Smith, M. and Porcher, E.A: History of the recent discoveries at Cyrene, London, 1864.

41- Fraser, P.M.: Hadrian and Cyrene, Journal of Rome Studies, (1950).